المعارف العمومية العالم العامل عطوفتلو علي باشا مبارك عزّز الله اركان العلم في ايامهم وعصم اقلامنا من الخطإ والهمنا ما به مرضاته وخدمة الامّة والوطن وهو ولينا واليه نهيب

مصادر الصناعة ومواردها

افتتحنا السنة الثالثة عشرة بمقالة موضوعها "مدارس الزراعة ومجامعها" شرحنا فيها احوالَ تلك المدارس في أُورُبا واميركا وما جناهُ الاوربيون والاميركيون من نفعها عسى ان نغري بعض القرّاء الكرام بالاقتداء بهم. وإنّا مستفتحون هذه السنة الرابعة عشرة بشرح وجيز لمصادر الصناعة ومواردها وتسابُق المالك في مضمارها عسى ان نغري اهل الوطن باقتفاء آثارهم فان التمثُّل بالكرام فلاح والحقائق حريّة بالذكر ولا بدّ لها من نفع عاجل او آجل ولذلك لا نضنُّ على المتلطف بحقيقة نطّلع عليها آملين ان نجد بين الالوف من قرّائنا من يصغي اليها سمعًا فينتفع بها وينفع غيرهُ

مَنْ يجُل في اسواق المشرق ويتفحّص البضائع التي فيها يجد اكثرها واردًا من اوربا واميركا. وما صُنع منها في المشرق من مثل المراجل النحاسية والادوات الحديدية قد جلبت موادهُ من أُورُبا ايضًا مسبوكةً مهيّأةً. والحال الحاضرة طرأت على البلاد من عهدٍ غير بعيد فقد عاش اجدادنا ولم يروا شيئًا من بضائع أُورُبا وعاش اجدادهم واسواق أُورُبا غاصّة بمصنوعاتهم والدهر في الناس قُلَّب

ومَنْ يلتفت الى اهتمام الاوربيين بالصناعة وإناطة خدْمتها برجال السياسة ورجال العلم وبذلهم النفس والنفيس في سبيل اتقانها وتوسيع نطاقها وترخيص ثمن المصنوعات وتسابقهم الى عرضها على تجار المشرق وامهالهم اياهم بالثمن اشهرًا بل سنين واهتمام الدول نفسها بامر الصناعة والتجارة حتى كأنها لم توجد الاّ لترويج بضائع اهاليها ثم يلتفت الى اهمالنا نحن واحتقارنا للصناعة والصنّاع وابتعادنا عن كل ما يأول الى اتقانها واتساع نطاقها وارتباطنا مع دول اوربا بمعاهدات دوليّة تقضي علينا بترويج بضائعهم وتكسيد بضائعنا من يلتفت الى كل ذلك يحكم انهُ قد قُضي علينا باهمال الصناعة ابد الدهر وانهُ لن تقوم لها قائمة عندنا. ولكنّ السرعة في الحكم اقرب الى الخطإ منهُ الى الصواب فهلمّ بنا ايها الباحث ننظر في تاريخ الصناعة الحديث عسانا ان نهتدي الى ما ينبئنا بمستقبلها في بلادنا

اقبل القرن التاسع عشر ومملكة فرنسا نازفة الدماء باثرة الصناعة وايطاليا وجرمانيا خائرتا القوى مقطّعتا الاوصال من غزوات بونابرت وحروبه المتوالية وليس في أوربا كلها الّا بريطانيا العظمى ملكة البحار مستعرّة في جزائرها مستغنية بهاجرها فنهضت الصناعة فيها نهضة جبّار لم ترَ مثلها العصور الخالية وفي اقل من سبعين سنة (اي من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨٧٨) زاد الفحم الحجري المستخرج سنويًّا من مناجمها من ١٠ ملايين طن الى ٢٨٠ مليون طن وزادت سفنها التجارية ثلاثة اضعاف ومُدّ فيها خمسة عشر الف ميل من السكك الحديدية وبلغت ثروة اهاليها حدًّا لم تبلغه ثروة أمّةٍ أخرى قبلهم فانفقوا على الاعمال الصناعية الف مليون ومئة واثني عشر مليونًا من الجنيهات. ولكنّ ضعف فرنسا لم يكن ليمينها وبلادها من اخصب البلدان وشعبها من اشد الشعوب نشاطًا واكثرهم اقدامًا فالتأمت جراحها حالاً وتقاطر عمّالها الى مدائنها فهبّت صناعتها بعد سباتها وناظرت الانكليز في مصنوعات كثيرة. والآن تُقدّر المصنوعات الصادرة من بلادها بقيمة نصف المصنوعات الصادرة من بلاد الانكليز. واقتفت جرمانيا خطواتها ولاسيّما بعد الحرب الاخيرة وعزّزت الصناعة بالعلوم الطبيعيّة والكيماويّة والهندسيّة وهي ممتازة بها على غيرها من الممالك فاستغنت عن مصنوعات الانكليز بل صارت مناظرةً لهم في اسواق المشرق لان معاملها ابتدأت حيث انتهت معامل منشستر ولفربول بعد اختبار مئة عام. والآن دخلت روسيا في ميدان الصناعة على جواد لا يعرف العثار وابتدأت في صناعتها حيث انتهت انكلترا وجرمانيا اي انها استخدمت احدث الآلات والادوات واكثرها اتقانًا وفي عزمها ان تستغني عن بضائع انكلترا وجرمانيا وتكتفي بمصنوعات بلادها. واقتدت بها النمسا والمجر وايطاليا واسبانيا والهند والبرازيل والمكسيك. وكل هذه الممالك قد نهضت في هذه الايام ورحّبت بالصناعة واحلتها محل الكرام. وسبقتها الى ذلك الولايات المتحدة الاميركيّة فناظرت بمصنوعاتها ممالك اوربا كلها. وهاك تفصيل ذلك مبتدئين من مملكة الروس لانهُ كان يظن انها بلاد زراعيّة محضة لا يرتجى تقدم الصناعة فيها

كان في بلاد روسيا الوسيعة وفي بولندا التابعة لها سنة ١٨٦١ نحو اربعة عشر الف معمل بين صغير وكبير وقيمة ما يصنع فيها في السنة ٢٩٦ مليون روبل فصار عدد المعامل بعد عشرين سنة ٣٥١٦٠ معملاً وقيمة ما تصنعهُ في السنة ١٢٠٥ ملايين روبل. ولم يزد عدد الصنّاع منذ سنة ١٨٧٩ الى الآن زيادة تذكر ولكنّ مصنوعاتهم تضاعف مقدارها وهذا يدلّك على اتقانهم للصناعة واستخدامهم احدث الآلات والاساليب الصناعيّة. هذا في المعامل

الكبيرة واما المعامل الصغيرة المتعلقة بالزراعة فحدِّث عنها ولا حرج لانها انتشرت في كل البلاد وصار عدد المشتغلين بها سبعة ملايين فاكثر وقيمة مصنوعاتهم في السنة اكثر من مئة وثمانين مليونًا من الجنيهات . وحول موسكو وحدها من الحاكة الصغار ما يبلغ ثمن منسوجاتهم اربعة ملايين جنيه ونصف في السنة . وحتى الآن لم تصر روسيًا في غنًى تام عن بضائع الانكليز والجرمانيين ولكنَّ احتياجها اليهم يقلُّ سنةً بعد أُخرى فقد كانت قيمة الوارد اليها من البضائع الانكليزية سنة ١٨٧٣ نحو ١٦ مليونًا وثلث مليون من الجنيهات فهبطت سنة ١٨٨٤ الى ١٣ مليونًا ونصف . والسبب الاكبر لتقدم الصناعة في روسيًا انها وضعت مكوسًا فادحة على البضائع الاجنبيَّة فاضطرَّ اصحاب المعامل الكبيرة من الانكليز والجرمانيين ان يتركوا بلادهم ويأتوا بلادها وينشئوا المعامل فيها تخلُّصًا من المكوس فتقدَّمت صناعة البلاد وقلَّ طلبها للبضائع الاجنبيَّة . ويقال انهُ لو زالت الآن المكوس الفادحة واطلقت حرية التجارة ما كان ذلك ليضعف صناعة روسيا اذ قد رسخت قدمها في البلاد ومواردها كثيرة فيها وابواب الرزق واسعة والاجور رخيصة لانها بلاد زراعية ولا ترخص الاجور الاَّ اذا كثر الطعام في البلاد ولا يشبع الفلاَّح الاَّ من خير ارضهِ . ويقال انهُ اذا زاد المشتغلون بالصناعة ثلاثة اضعاف فالتربة كافية لزراعة البلاد

و بلاد جرمانيا دخلت ميدان الصناعة منذ عهد حديث ولكنها تأهَّبت لهُ بالعلوم والمعارف ففازت بالسبق في برهة وجيزة فانهُ لم يكن يرد الى بلادها منذ خمس وعشرين سنة سوى ٨٣٠٠ طن من القطن ولم يكن يصدر منها سوى ٨٣٠ طنًا من النسج القطنية فبلغ الوارد اليها سنة ١٨٨٤ مئة وثمانين الف طن من القطن والصادر منها ٢٥ الف طن من النسج القطنية و ٢١ الف طن من النسج الصوفية . وكان عدد مغازل الكتان في اوربا سنة ١٨٨٤ مليونين وسبع مئة الف وفي جرمانيا وحدها ثلثمئة الف مغزل . وفيها الآن ٨٧ الف تنول لنسج الحرير وقيمة منسوجاتها الحريرية تسعة ملايين جنيه في السنة ولا يفوقها في هذه الصناعة الاَّ فرنسا . وقد انتشرت بضائع جرمانيا في الدنيا وناظرت بضائع انكلترا في كل الاسواق ولا سيما لانها ارخص من البضائع الانكليزية وناظرت بضائع فرنسا في اسواق فرنسا نفسها

اما فرنسا فقد ملكت زمام تربية القز ونسج الحرير واشتهرت مدينة ليون بمحل الحرير وصبغهِ ونسجهِ ثم ضُرب دودها بالضربة المعروفة فاضطرَّت ان تجلب الحرير المحلول من

ايطاليا واسبانيا والنمسا وبر الاناضول وبر الشام وبلاد يابان وكان الحرير الوارد اليها سنة ١٨٧٦ نحو احد عشر مليونًا من الارطال (المصرية) تُنسج كلهُ في مدينة ليون وما جاورها فاغنى الصناع بثمنهِ ولكن لم تكن هذه الصناعة لتنحصر في ليون ولا في فرنسا فانشئت لها معامل كثيرة في جرمانيا وسويسرا وايطاليا وبعد ان كانت قيمة الصادر من منسوجات ليون ٤٦٠ مليونًا من الفرنكات صارت ٢٢٣ مليونًا ويقال ان نصف المنسوجات الحريرية التي تستعمل الآن في فرنسا تُجلَب اليها من الخارج من ايطاليا وسويسرا ونحوهما بل ان روسيا نفسها تكاد تستغني عن منسوجات فرنسا الحريرية لان معامل بلاد القوقاس تنسج حريرًا بفوق في رخصهِ حرير فرنسا وقد اشتدَّ الضيق على الحاكة في مدينة ليون سنة ١٨٨٤ حتى كادوا يموتون جوعًا لو لم تطعمهم الحامية من جرايتها

وقد كانت قيمة واردات فرنسا سنة ١٨٨٦ نحو ٣٠٥ ملايين جنيه وقيمة صادراتها نحو ١٧٠ مليون جنيه وزيادة الوارد على الصادر دليل قاطع على انحطاط صناعة فرنسا عمَّا كانت عليهِ

والصناعة في النمسا والمجر حديثة العهد ولكنها قد نجحت نجاحًا عظيمًا فبلغ مقدار مصنوعاتها سنويًّا مئة مليون جنيه وكل الآلات والادوات التي فيها من احدث ما اختُرع واستُنبط الى عهدنا هذا والمعامل مضاءة بالنور الكهربائي. ومن ادلة تقدمها ان واردات البلاد بلغت منذ سنتين نحو ٥٤ مليون جنيه وصادراتها نحو ٩٧ مليون جنيه

وايطاليا لم تحجم عن ميدان الصناعة بل ارجت جوادها فيهِ بعزيمة الابطال ومن اول اغراض رجالها ان تستقل بنفسها عن كل الممالك وتسترجع مجدها الاول ومما يدل على تقدُّم الصناعة فيها في السنين الاخيرة انها استوردت من الفحم الحجري سنة ١٨٧١ اقل من ٧٨٠ الف طن وسنة ١٨٨٤ اكثر من مليونين وتسع مئة الف طن. وزادت المعادن المستخرجة من مناجمها في الخمس عشرة سنة الاخيرة ثلاثة اضعاف وصنعت من الفولاذ والآلات الحديدية ما ثمنهُ ثلاثة ملايين جنيه وكان الوارد اليها من القطن الشعر سنة ١٨٨٠ نحو ٢٩٠ الف قنطار فبلغ سنة ١٨٨٥ نحو ٦٠٠ الف قنطار وكان فيها مليون مغزل سنة ١٨٧٧ فبلغ عدد مغازلها سنة ١٨٨٥ مليونًا وثماني مئة الف

وبرازيل البعيدة عن مركز التمدن كان المظنون عند علماء الاقتصاد انها ستبقى ابد الدهر مثل مصر تزرع القطن وتبعث بهِ الى اوربا وتجلب المنسوجات منها. ومنذ عشرين

سنة كان فيها ثلاثة معامل صغيرة فيها ٣٨٥ مغزلاً اما الآن فقد صارت معاملها ٤٦ معملاً وفي خمسة من هذه المعامل اربعون الف مغزل . وينسج فيها كل سنة ثلاثة وثلاثون مليون يرد من المنسوجات القطنية

ولندع بلاد المغرب عند هذا الحد لئلاَّ ندخل الولايات المتحدة بلاد الغرائب ولنقفل راجعين الى المشرق الى بلاد الهند التي كان الانكليز يعتمدون عليها في تجارتهم ولا سيَّما في بيع منسوجاتهم القطنيَّة فانها كانت تبتاع منهم في السنة باكثر من عشرين الف جنيه اما الآن فقد انشأت المعامل لنفسها و وسعتها فنسجت سنة ١٨٦٦ نحو ٢٣ مليون رطل من القطن الشعر ثم زاد ذلك رويدًا رويدًا حتى بلغ ما نسجته سنة ١٨٨٦ مئة واربعة وثمانين مليون رطل وكان فيها اولاً نحو ٨٨٦ الف مغزل فصار فيها اكثر من مليونين وسبعة وثلاثين الف مغزل وكان فيها ٨٥٣٧ نولاً فصار فيها ٦١٥٩٦ نولاً . ولا مانع يمنعها عن مزاحمة كل ممالك اوربا في اسواق الدنيا الاَّ قلة راس المال فيها وقلة انتشار المعارف ولكن اغنياء الارض يرسلون اموالهم حيث ترجح الارباح الطائلة والعلم لا وطن له فينتشر في كل مكان تعدُّ له فيه الوسائط واهل الهند من الحذق الطبيعي في الصناعة على جانب عظيم كما تشهد مصنوعاتهم كلها

وسيرى ابناؤنا مخازن الهند والبضائع الهندية منبثَّة في اسواق مصر والشام ان لم ينتبه القطران من غفلتهما . نعم ان الزراعة قسمة القطر المصري ونعم القسمة ولولاهُ ما عاش فلاَّحهُ ولا استطاعت البلاد ان تقوم بحمل الدَّين الذي عليها ولكنَّ الصناعة يجب ان لا تموت فيهِ لا سيما وان فروعًا كثيرة منها يمكن ان تنجح فيهِ وتغنيهُ عن غيرهِ واما القطر السوري فالحديد والفحم الحجري كنزان فيهِ وهما عماد الصناعة وكذلك الحرير والزيت والعقاقير الطبيَّة وفيهِ خلفاء الفينيقيين الذين غصَّت اسواق المسكونة بمصنوعاتهم واخترقت سفائنهم التجار الشاسعة وانهال المال عليهم انهيال السيل . ولو كان امم الارض في غفلة كما كانوا في العصور السالفة لهان علينا ان نسابق صنَّاعهم وتجَّارهم أما وقد جعلوا اتقان الصناعة وتوسيع التجارة غرضهم الاول الذي يحشدون له الجنود وينشئون له البوارج فلن نجاريهم الاَّ اذا جعلت الحكومة ذلك غرضها الاول وسعت اليهِ باسبابهِ وشأنها في ذلك شان كل رجل حكيم ينفق مئة ليربح الفًا

هذا ويحق للقتطف ان يقف وقفة مَن خبَر حال البلاد وعرف مطالبها مدة اربع عشرة سنة وقاسم صنَّاعها التعب والتنقيب عن اساليب الصناعة ومكوناتها ويشهد ان في البلاد

عقولاً ذكية وهممًا عليَّة وايادي لا تعجز عن عَمَل وصبرًا لا يعرف الملل . ولكنَّ الجواد يكبو حيث تكثر المعاثر والصارم ينبو عن دلاص المغافر . وقد علمتَ ان صنّاع اوربا واميركا وهم ارباب الصناعة وولاة امرها يستنجدون بحكوماتهم على تذليل الصعاب ورفع ما يحول دون ترويج بضائعهم من العقاب ولو بغزو الممالك واقتحام المهالك فلن نجاريهم بل لن نعيش في جوارهم ما لم نهبّ جميع عناصر الوطن ونواصل السهر بعين لا تعرف الوسن

وكيف تنام الطيرُ في وكناتها وقد نُصبت للفرقدين الحبائلُ

وقد اخبرنا حضرة ناظر المعارف العموميَّة صاحب السعادة علي باشا مبارك انهُ اعدَّ المعدات لمدرسة صناعية في مدينة المنصورة وفي نيتهِ ان يجعلها مقدمة لمدارس اخرى تنشأ على شاكلتها فحمدنا الخبر ورجونا عود الصناعة الى هذا القطر والعود احمد . ولكنَّ ذلك لا يسدُّ كل حاجة البلاد بل لا بدَّ من تسهيل السبل ايضًا لاصحاب الاموال حتى ينشئوا المعامل كما أُنشئ معمل تكرير السكَّر في مصر ومعمل الورق في سورية فان المعمل من هذه المعامل يقوم بالوف من العملة العاملين فيهِ مباشرةً كالعمال انفسهم او غير مباشرة كجالبي المواد الاصلية وناقلي المصنوعات وبائعيها . وإنَّا لعلى ثقة ان اولياء امورنا يأخذون بيد كل من يسعى في ادخال الصناعة الى البلاد فلا يجمنَّ احدٌ عن هذا المسعى المشكور ولا يتوقعنَّ الاَّ النجاح باذن الله وهو على كل شيء قدير

السموم في اللحوم

خلق الانسان محفوفًا بصنوف الاعداء معرَّضًا للاسواء والادواء تترصدهُ المنايا من قبل ان يرى نور النهار وتتعقَّب خواتهِ في الآصال والاسحار . وقد عرف الاطباء منذ الوف من السنين ان البعوضة تدمي مقلة الاسد وان عوادي الادواء تكمن في الطعام والشراب ولا يتحاشى من الاقوام من احد . ولكنهم لم يعرفوا حقيقتها فلم يأخذ الناس بقولهم الاَّ حيث حسبوهُ نبيًا الهيًّا وحكيًا دينيًا . اما الآن وقد استعانوا بآلة تريهم ما لا يُرى بالعيون وتكشف لهم ما استتر عن الابصار فقد بحثوا بها في مكامن هذه الاعداء وهتكوا عنها الستار فوجدوا ان جانبًا كبيرًا منها يترصَّد الانسان في الهواء والماء والطعام والشراب وان اعداها وافتكها وهو ميكروب السل الرئوي يتصل بالانسان غالبًا من اللحم الذي يأكلهُ وهذا ما اردنا ايضاحهُ في هذه المقالة